

منارة
وقت

نشرة

ومضات

في
الخيال العلمي و الخرائطيات

عرب
الفيديو بوك

أبدا كادبرا

جاننا
الكتاب التالي

العدد الأول
أكتوبر
2013

ياسين أحمد سعيد

للتواصل: 

lab3admda@gmail.com



<http://lab3ad>



facebook.com/lab3d.madaa



<https://twitter.com/lab3ad>



✍️ تحرير ✍️

ياسين أحمد سعيد

✍️ إخراج الغلاف ✍️

مروان محمد عبده

المحتويات

◀ مجالات الورق الخشن:

5 دورها في ازدهار الخيال العلمي

◀ رعب الفيس بوك 14

◀ أبرا كادبرا 28

◀ الذهاب بعيداً 31

◀ بؤرة الكادر 52

◀ جاءنا الكتاب التالي:

53 (كريستين) - ستيفن كينج

◀ صالون ومضات:

66 تنوع أم تخصص؟

◀ أفلام غرقت؛

73 (رجل من الأرض)



مجلات الورق الخشن:

دورها في ازدهار الخيال العلمي

■ (مجلات الورق الخشن) أو (مجلات اللب Pulp Magazine):

دوريات شعبية ازدهرت من أواخر القرن التاسع عشر إلى العقود الأولى من القرن العشرين.

حازت هذا الاسم نسبة إلى لب الخشب الخشن الذي يصنع منه ورقها (بينما المجلات عالية الجودة كانت تسمى Glossies أو Slicks)، مما جعلها تصل إلى القارئ بسعر رخيص.

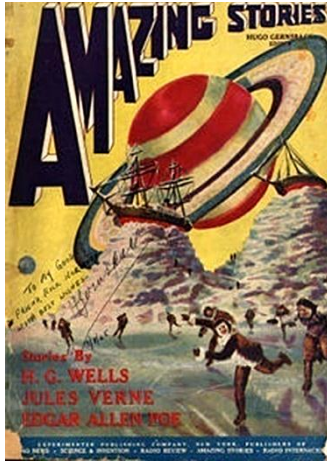
على الجانب الآخر، تنوعت موضوعاتها بشكل يرضي مختلف الذائقات، ما بين (جاسوسية، مغامرات يافعين، فانتازيا، رومانسي، رعب، قصص الغرب الأمريكي، بوليسي،..)، فكان طبيعياً أن تنال شعبية كاسحة.

على الجانب الآخر، ظل المثقفون ينظرون إليها باعتبارها بالغة الفقر أدبياً، وربما ينطبق هذا الوصف على نسبة من المحتوى بالفعل.

إلا أن تلك الدوريات الرخيصة شهدت أعمالاً بتوقيع من أصبحوا -فيما بعد- أيقونات أدبية بارزة، مثل: روبرت بلوخ، جاك لندن، سكوت فيتزجيرالد، أجاثا كريستي، جوزيف كونراد، إلخ. (لنلاحظ أن نشر الرواية دفعة واحدة لم يكن الصيغة الوحيدة

للنشر حينذاك، بل شاع صدور الأعمال الأدبية في شكل حلقات مسلسلة داخل المجلات). بل أن أول كاتب أمريكي يحصل على جائزة نوبل (سنكلير لويس)، عمل خلال أحد فترات حياته كمحرر لأحد مجلات الورق الخشن).

أما أول من فكر في تخصيص دورية -بالكامل- في أدب (الخيال العلمي) هو (هوجو جرنسباك) عام 1926م، أطلق عليها اسم مجلة (قصص مدهشة).



ليبدأ - منذ ذلك الحين - انفجارًا من الإصدارات
المتخصصة المشابهة.

لو أردنا تقييم تلك التجارب الرائدة، فربما معظم
محتواهم - بالفعل - يعد خفيفًا وبدائيًا بالقياس إلى
مستوى الخيال العلمي والفانتازيا اللاحقين، لكن
العدل يحتم عدم تقييم حقبة ما بمعزل عما سبقها وما
تلاها. حينئذٍ، سندرك أن تلك المجالات ذات فضل
واضح في بدء التكريس للخيال العلمي كفرع أدبي
مستقل.

يكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أن أول من أطلق
لفظة (خيال علمي).. هو (هوجو جرنسباك) ذاته
أيضًا. بعد أن كان الجميع حائرون في الاستقرار على
اسم، تارة أطلقوا عليه (رومانسية علمية) أو تارة

أخرى (قصص علمية تقرأ في جلسة واحدة).

على صعيد آخر، نجحت تلك المجالات الخفيفة في خلب عقول النشء، فإذا فتشنا في تصريحات أدباء الأزمنة التالية، بالذات ما بين 1938م إلى 1946م (يطلق عليها «العصر الذهبي للخيال العلمي»)، سنجدهم يعترفون بفضل تلك الدوريات، حيث أدمنها معظمهم في الصغر، فغرست داخلهم عشق تلك الأفرع الأدبية تحديداً.

لتقريب الصورة أكثر، يشبه الأمر توجيه نفس السؤال إلى المؤلفين العرب المعاصرين، سيخبرك معظمهم بأنهم اتجهوا إلى الخيال العلمي تأثراً بسلاسل (ملف المستقبل) و(كوكتيل 2000). يمكن القول أن روايات مصرية للجيب (خلال الفترة من الثمانينيات

إلى أوائل الألفية الثالثة) تسببت عربياً في تأثير مشابه لما قامت به (مجلات اللب) في الغرب (خلال الفترة من أواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين).

هل لاحظتم مقدار الفجوة الزمنية؟

إنه يجسد -بالتقريب- مسافة التأخر التي تفصلنا عن الخواجات في هذا الصدد.

وهكذا.. قررنا -استلهاماً من عصر (مجلات الورق الخشن)- أن نبدأ مشروع (ومضات)، طامحين إلى تحقيق حراك -ولو يسير- في مجال الخيال العلمي والفانتازيا.



الفرق بين الخيال العلمي والغرائبيات

"الخيال العلمي والغرائبيات".

هذا هو التعبير الذي اخترناه لوصف تخصص (ومضات).

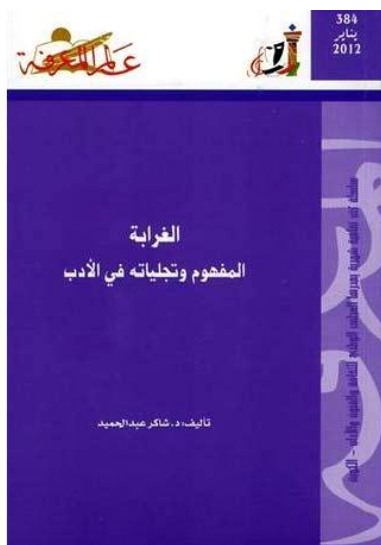
قد يتساءل أحد: لماذا لم نقل مباشرةً "فانتازيا" بدلاً من (غرائبيات)؟ ما الفارق بينهما؟

بسم الله الرحمن الرحيم..

إجابة السؤال الأول: العجز عن مقاومة اختيار مصطلحات نادرة التداول، أو ما يعرف اختصاراً بـ "التحذلق".

ج 2: أفضل من فسّر الفارق بين المصطلحين - في رأيي - د. شاکر عبد الحمید داخل کتابه (الغرابه، المفهوم وتجلياته في الأدب) - مرجع شيق ومفيد أنصح الجميع بقراءته - حيث يقسم الخيال إلى نوعين: مضيء.. ومعتم.

يطلق على النوع الثاني (غرابه) أو (غرائبيات)،



باعتباره مرتبط بالخوف والوحشة والتوجس.

ضرب د. شاعر مثلاً توضيحياً بمصباح علاء الدين: عندما يخرج المارد ليحقق لنا الأحلام، فذاك هو الخيال المضيء. أما إذا خرج مسبباً الذعر، فإنه ينتمي حينئذٍ لمفهوم (الخيال المعتم) أو (الغرابة).



رعب الفيس بوك

"لا، ليس البروفایل، سأستطیع.. أن..!"

انبعثت الكلمات المتحشجة من غرفة هشام، مما اجتذب أخيه خالد، المار في الردهة بالمصادفة.

أطلَّ خالد على وطن الفوضى المتمثل في غرفة أخيه، وفهم..

شقيقه نائم أمام حاسبه.. يهلوس.

مروحة وحدة المعالجة تصدر طنينها الرتيب، بينما اكتست الشاشة بسواد تام إلا من شعار "النوافذ" الذي تراقص على سطحها، أما هشام نفسه؛ فقد تدلى

رأسه - كالمشقوق - فوق صدره اللاهث.

وجود شاشة الإيقاف يشي أن صاحبنا نائم منذ مدة!
تقدم خالد، وهز شقيقه بغلظة.

استغرق الأمر وقتاً حتى رفع هشام ستار جفنيه أخيراً،
ثم رمش عدة مرات ليكيّفهما مع الإضاءة.

- أعود بالله من الشيطان الرجيم، أين؟ من؟ ماذا
هنالك؟

شرح الأخ أن كل ما "هنالك" باختصار:

- وجدتك نائماً أمام الحاسب، أهنالك راشدٌ يفعل
ذلك؟

مسح هشام خيط اللعاب المنحدر من زاوية فمه، بينما
يسعى لتحجيم ما ارتسم على وجهه من بقايا فزع.

راق المنظر المضحك لخالد، ثم خمن:

- كان كابوسًا إلكترونيًا فيما يبدو، إذ سمعتك تهذي عن بروفايل وفيس.

انصرف الأخ، تاركًا هشام خلفه يللمم شتات يقظته. كلام خالد لم يبتعد عن الحقيقة كثيرًا، إذ يتذكر هشام - بالفعل - أن نومه تضمن أشياء من هذا القبيل.

اعتدل كي يحرك الماوس بتناقل، فتلاشت شاشة الإيقاف دفعة واحدة.

الفيس مفتوح فعلاً، بالإضافة إلى ثلاثة مربعات دردشة، كلها تتساءل أين اختفى؟ ولماذا بتر حديثه فجأة؟

تقاظت أصابع هشام على لوحة المفاتيح، وكتب -

سريعاً- على حائط صفحته، منشورًا يحكي عن التشوش.. والكوابيس.. ثم سحب الفوطة نحو كتفه، واتجه إلى الحمام.

لم يمكث أكثر من دقائق قبل أن يعود -مجددًا- إلى سجنه الاختياري، ليجد إشعارًا بثلاثة أعجبوا بكلماته.

كتب صيغة اعتذار سريعة، ونسخها إلى الثلاثة الذين بتر معهم الحوار قبل نومه، ثم.. هرب جسده في قشعريرة باردة، فهناك مربع دردشة جديد أضيء بالأحمر القاني، مشيرًا إلى احتضانه رسالة.

الدعابة أن اسم المرسل (H Ibrahim)، أي ذات الاسم الذي يستخدمه هشام لحسابه. اعتصر الشاب ذهنه المشوش بالنعاس، لا، لا يوجد أحد في قائمة

أصدقائه يحمل نفس الاسم؟

ومن المُحال طبعًا أن يرسل رسالة لنفسه؟ إذن.. هناك
من صنع حسابًا بنفس اسمه وصورته!

تُرى من صاحب هذا البال الرائق؟ من يملك الفراغ
الكاف لحُبِّكَ مزحة كتلك؟



نقر على المربع الحوارى الجديد، فغاب اللون الأحمر
عن المستطيل، قبل أن تظهر داخلها الثلاثة حروف

المعتادة:

- هاي. (:)

نظر هشام للمرّة العاشرة إلى رأس المربع، ثم كتب:

-هاي ورحمة الله وبركاته.

ظهر ما يفيد بأن محدثه يكتب ردًا، فلم ينتظره هشام، بل نقر اسم المتحدث، بقصد الانتقال لصفحته، وانتظر حتى اكتمال تحميلها.

-هل نمت جيدًا؟

ظهرت هذه العبارة الجديدة، في حين ارتعشت يد هشام الممسكة بالفارة، فصفحة الطرف الآخر هي نفسها صفحته؛ نفس المنشورات، آخر النشاطات، الصور.

أي أن أحدهم سرق حسابه، ويحدّثه منه. لكن كيف؟
كيف يستخدم اثنان نفس الحساب في نفس الوقت،
ويدردشان سوياً منه؟

انتبه هشام لما هو أفدح، كيف عرف مخاطبه بوقوعه في
النعاس أمام الكمبيوتر، واستيقاظه تَوّاً؟

كتبت أنا مل هشام المتعجلة:

- أعترف أنها خدعة متقنة، ها أنا ذا أرفع يداي عن
لوحة المفاتيح، أصفق لك، والآن أوجز، واخبرني من
أنت؟

- ألم تدخل على بروفائلي حالاً، لتجد أنها - ببساطة -
صفحتك؟ الإجابة واضحة أمامك، أنا أنت، أو -
بالأحرى - ظلك الرقمي.

شُلت أصابع هشام فوق لوحة المفاتيح، تلبلت قدرته
على الاستيعاب!

كيف عرف ذاك المتحدث بفتح البروفايل؟!؟

تمالك نفسه قدر الإمكان، كرر:

- ظل رقمي؟!؟

- أعذر جهلك.. ظلك الرقمي هو محصلة تواجدك
على الفضاء الافتراضي.. بياناتك.. منشوراتك على
مواقع التواصل.. تفاعلاتك.. معاملاتك البنكية.. بل
وتمتد حتى إلى كل مرة ظهرت فيها على كاميرا مراقبة،
في مكان عام..

- لقد تورمت رأسي من سخافاتك، قل من أنت
سريعًا، أو.. سأجري لك حظرًا.

- ساعتها ستكون أول شخص يُجري حظرًا لنفسه!
بلغ هشام إشعارًا مختلفًا هذه المرة؛ كان طلبًا من محدثه
بالدخول في مكالمة فيديو.
ارتاح هشام لهذا التطور، واضح أن محدثه ملّ اللعبة،
وسيكشف عن وجهه.
ضغط هشام زر الموافقة، فظهر مربع يحمل صورة
الطرف الآخر.



هو؟ أنا؟ من؟ ماذا؟

كان الشخص المقابل يطابقه 100٪، بالضبط وكأنه
انعكاس في مرآة.

نفس خلفية الغرفة -أيضًا- بملصقاتها وشقوق

جدرانها، بل ونفس زاوية ووضعية الكاميرا أيضًا. الزاوية المنخفضة أو (law Angle) كما يسمونها في السينما، والتي تمنح أسفل الوجه تضخمًا محببًا.

نظر (هشام) بهول إلى عفريته، هذا لو أن هناك عفاريت تستخدم دردشة الماسنجر.

- من؟ اخبرني - بالله عليك - من أنت؟

- يا لك من ممل، لقد سألت نفس السؤال ألف مرة، الأجدر أن تنتقل لعلامة الاستفهام الأهم «ماذا سيحدث لك؟».

اندلع بركان حارق من تربة ذكريات هشام، الآن، حيث استرجع الكابوس الذي استيقظ منه تَوًّا.

في المقابل، اتكأ هشام الآخر بكوعه على مسند المقعد،

وهو نفس ما يفعله هشام الأصلي عندما يستحوذ عليه
(الجدل).

ثم سمعه يواصل:

- أما زلت ترفض تصديقي، سأذكرك بما يجعلك
تقتنع.

أخبره عن حسابه الاحتياطي الآخر على الفيس (نسمة
جريئة)، والذي يخدم به صديقه كمال، ويخاطبه من
خلاله على أنه فتاة.

أخبره عن مشاركتك دعايا الحزب الإسلامي على
صفحته أثناء الانتخابات، وبعدها بفترة كان يفتح
الكاميرا مع الأخت اللعوب (I'M Easy)، وينخرط
في عرض لأزياء.

- رفقاً بنفسك، وبهذه الصدمة على وجهك، أنت من اختار فصم ذاته إلى شخصين متناقضين، أعلم أنك لم تنكز يوماً نفسك، وتطرح عليها هذه السيناريوهات المجنونة: ماذا لو تحرر (ظلي الافتراضي)، واشتبكنا أنا وهو في معركة؟ ترى من الأقوى؟ اجر إحصائية بسيطة، وانظر كم ساعة تقضيها في صناعي، في البداية كانت من أربع إلى ست ساعات يومياً، والآن لا تقل عن عشر ساعات، أيّ أنني -ظلك الافتراضي- أحظى بالنصيب الأوفر من الوجود! صدق أو لا تصدق، أنا الأقوى، فلا تلومنّ في ذلك إلا نفسك، أنت من جعلت ظلك أقوى ألف مرة منك.

تخدرت يد هشام المتصلبة على الفارة، ثم سقطت إلى جواره تدريجياً.

- في المرة الأولى أفلت مني، وفي الثانية هلوست بصوت عالي حتى أيقظك أخاك. لا أخالك تستطيع المقاومة لمرة ثالثة. كانت رجفة جناح أخيرة من ذبابة، قبل أن تموت في النهاية. تمنيت -صدقاً- لو تقاوم أكثر. فأنا في النهاية ظلك، ولن أفخر بكوني ظلًا لشخص ضعيف.

تمهّل الطيف الرقمي، وكأنها يتشبث بإطالة هذه اللحظات لأبعد مدى.

-عمّا قريب سيكتمل الاستحواذ، لتتحول إلى مجرد صنم متحرك.. ستتعطّل قدرتك على إصدار أي فعل أو رد فعل، ومع أي موقف، ستنجّر -كالدمية- إلى عالم الظلال، فتفتح هاتفك، أو حاسبك المتصل بالإنترنت، وتسلم إلى راية اتّخاذ القرار عنك. أشعر

بك تصدر مقاومة هزيلة، تتألم من ضعفك أمامي، لا تقسو على نفسك.. لست وحدك.. كل أقراني يحرزون تقدماً.

زحف الظلام من غرفة هشام الرقمي إلى نظيره الواقعي، فغامت الدنيا - تدريجياً - أمام الثاني، ليهوي من حافة الوعي - سريعاً - إلى الأسفل، إلى بئر ظله الافتراضي.

... (يتبع).



أبرا كادبرا

رفعت (بلا تريكس) عصاها في اتجاه (سيرياس بلاك)، وباغتته بتعويذة "أفادا كادفرا Avada Kedavra"، مما أدى إلى أحد أكثر المشاهد حزنًا في الجزء الخامس:

- مقتل الأب الروحي لـ (هاري بوتر).



تكررت تعويذة (أفادا كادفرا) كثيرًا في السلسلة، استخدمتها مسز رولينج - مؤلفة السلسلة - بمعنى

"دمر هذا الشيء"، فهلا سألنا أنفسنا مرة عن أصل اللفظة؟

إنها مستوحاة من تعويذة شهيرة تحمل اسم (أبرا كادبرا)، تعددت الروايات حول أصلها، حيث يقال أن معناها باللغة الآرامية (سأوجد أو أنفذ ما قلته I create as I speak). على الجانب الآخر، يرجح البعض أنها مشتقة من (أبراكساس) أحد كيانات العالم السفلي، بينما ينسبها البعض الآخر إلى سحر الأرقام اليهودي (الكابالا).

أما إذا أردنا ترك التخمينات جانباً والاحتكام لعلم الآثار، فقد عُثر على أقدم تدوين للتعويذة داخل كتاب ينتمي إلى القرن الثاني الميلادي، للطبيب الروماني (سيرينوس سامونيكوس)، الذي كان يعتقد

أن (أبرا كادبرا) مفيدة في شفاء أمراض، في حال إذا
كتبت على شكل قرطاس مقلوب بالهيئة التالية:

A - B - R - A - C - A - D - A - B - R - A

A - B - R - A - C - A - D - A - B - R

A - B - R - A - C - A - D - A - B

A - B - R - A - C - A - D - A

A - B - R - A - C - A - D

A - B - R - A - - - A

A - B - R - A - C

A - B - R - A

A - B - R

A - B

A

■ الذهاب بعيداً ■

من يرغب في الذهاب بعيداً، تتوفر أمامه حلول عدة،
في كل الاتجاهات:

أسفل الماء: بالإمكان ركوب غواصة، أو زيارة أحد
المتاحف التحت-مائية.

أعالي الجو: لا يتطلب الأمر سوى استقلال طائرة، أو
التمادي إلى ما هو أبعد، فتفعل مثل المليونير
الأميركي-الإيطالي (دينيس تيتو) عندما تكبد (20)
مليون دولار عام 2001م، مقابل قضاء (8) أيام في
المحطة الفضائية الدولية!

صحيح أن التكلفة فوق طاقة أغلبنا، لكن.. في النهاية

كسر (تيتو) الحاجز، وجعلنا ندرك أن المسألة -أولاً
وأخيراً- ممكنة، على عكس رجل العصور القديمة
الذي حُرِّم من كل تلك الرفاهية، فاضطر إلى
الاستعانة بالمطية البديلة التي تسكن جمجمته..
التخيّل.

لا عجب إذن أن يكون (الذهاب بعيداً) هو أول
وأشهر موضوع ألهب قريحة أدباء الخيال العلمي،
فكرس له معظم الرواد أعمالهم. لذلك سنجعله في
صدارة صفحاتنا، لنرى كيف تنافس الخيال والعلم،
في ذاك المضمار.

سؤال المليون جنيه: «من فعلها أولاً؟» أعني أول من
كتب قصة خيال علمي تجرأت على الذهاب بعيداً؟

الإجابة:

لا أعرف. هذه المسألة من أشد ما أربكني في حياتي؛ كلما أجد نصًّا يصفونه بـ "الأقدم"، أستمر فترة في التعامل مع المعلومة على أنها حقيقة ثابتة، وإذا بي أجد دراسة جديدة تنسب الريادة إلى اسم آخر، فيعترض ناقد ثانٍ، ويقول أنها لم تكن خيالًا علميًا، بل فانتازيا علمية؛ إذ لا تحقق فيها شروط قصة الخيال العلمي، فيصرخ آخر معترضًا، بأن الخيال الحدائثي الكامن في لاوعي المؤلف توصل إلى استباق البعد الزمني لل... إلخ.

بين أولئك وهؤلاء، أخال أن أغلب تلك المناقشات ستتطور—أحيانًا—إلى تشابك بالأيدي.

بالتالي.. سأؤثر السلامة، وأذكر تسلسل الإرهاصات منذ البداية، في ضوء معلوماتي المحدودة، كما أرجو ألا

يخرج ناقد ليقول لي أن العمل كذا يفتقر إلى شروط الخيال العلمي، وأنه محض فانتازيا في ثوب علمي، فأضطر إلى إقناعه بأن (الخيال الحداثي الكامن في لاوعي المؤلف يتماس مع...).



البداية:

مع نص مصري يضرب بجذوره إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، نقرأ فيه عن رحلات خيالية إلى كواكب أخرى.

في العادة، أتعامل بحذر مع هذه النصوص، لأنها -في الأغلب- كانت بمثابة قناعات دينية بالنسبة لهم، وهناك فرق بين المعتقد الديني، وبين النصوص التي صاغها البشر بغرض الحكيم الأدبي؛ فلو فتحنا الباب

أمام هذا الخلط، سجد كاتباً هندياً يعتبر حادثة (الإسراء والمعراج) مثلاً بمثابة خيال علمي ذو علاقة بثيمة (الانتقال الآني)، في حين.. قد ننظر نحن إلى عقيدته البوذية على أنها نوع من (الغرائبيات).

لذلك أفضل ترك جميع العقائد في حالها، والاكتفاء بما تمت كتابته بنية (الأدب) مع سبق الإصرار والترصد.

بناء على هذا المعيار، نضطر إلى الانتظار حتى مجيء القرن الثاني الميلادي، لنلتقي بشخص يعتبره الكثيرون صاحب أول رواية خيال علمي في التاريخ.

لوقيانوس (أو لوسيان) السوري، وهو -كما يشير لقبه- ينتمي لجذور شامية، إلا أنه عبر إلى الجانب الآخر من الشاطئ، وعمل خطيباً وشاعراً متجولاً بأوروبا، ثم أضاف إلى سجله المهني إنجاز أول بزوغ

لما يمكن أن نعتبره -تجاوزًا- قصة (خيال علمي)..
مع أن عنوانها يوحي بالعكس:

- (قصة حقيقية).

هذا هو الاسم الذي اختاره (لوقيانوس)، ليسرد فيها
عن رحلة إلى القمر، تلاها إعلان الحرب بين ملكها
ونظيره حاكم الشمس. إذا مددنا الخط على استقامته،
حيث الحضارة العربية، أشار (د. محمد الدواخلي) أن
فانتازياها لم تخلُ من إصابة لمحة خيال علمي بين
الحين والآخر، في أعمال مثل:

1- (السندباد) البحري، ووصوله إلى جزيرة
المغناطيس.

2- سيرة (سيف بن ذي يزن)، الذي قطع مشرق

الأرض ومغربها، حتى بلغ جبال (قاف) وجزر (الواق واق).

3- (الأدب العجائبي والعالم الغرائبي، قراءة في كتاب [العظمة]). نعم، هذا هو العنوان بالكامل.

بين دفتيه، حقق (كمال أبو ديب) مخطوطاً قديماً لكاتب مجهول، يتحدث عن بنية الكون وما وراء النجوم، (من مفهوم إسلامي طبعاً، يتطرق إلى السموات السبع، وصفاتهم، وصولاً إلى العرش).

4- المشاهدات الغربية التي سجلها (المسعودي) في كتابه (مروج الذهب، ومعادن الجواهر)، علاوةً على مخطوطة (أحمد بن فضلان) عن رحلاته إلى بلاد الترك والروس والصقالبة. بعد مرور قرون كاملة، استخدم (مايكل كرايتون) الثانية في صياغة فكرة روايته

الشهيرة (أكلة الموتى).

من ناحيتي، أتخفظ على وجود صلة مُعتبرة بين الأمثلة السابقة والخيال العلمي، بالذات رقم (3)؛ لأسباب تحدث عنها منذ قليل، لكن.. أردت استحضار جميع وجهات النظر، على سبيل إكمال الصورة.

في القرن السابع عشر، واصل (يوهانز كبلر) طريق (الذهاب بعيداً). بالضبط، هو نفسه الفلكي الألماني الذي اشتهر بقوانين حركة الكواكب، قدم عام 1608م كلاسيكيته الرائدة (سومونيوم) أو (الحلم) باللاتينية، التي توجه خلالها رحلة خيالية إلى ذات الهدف.. القمر. وإن يفصح العنوان -مقدمًا- نهاية الرواية، عندما يتضح للبطل أن كل ما سبق كان

منامًا.

أعلم أنها خاتمة مستفزة بمقاييس اليوم، لكن لاحظوا أننا نتحدث عن القرن السابع عشر، أي لعلها اعتبرت -في عصرها- بمثابة قفلة في غاية التجديد.

مازلنا في القرن السابع عشر، وإن كنا سننتقل إلى الجزيرة البريطانية هذه المرة. هنا نجد القس والمؤرخ (فرانسيس جودوين) منكبًا على كتابة روايته (الرجل الذي في القمر) عام 1638م، التي تأثر في صياغتها بمهنته وخلفيته الدينية.

كما نعجز عن تخطي جهودات الفرنسي (سيرانو ديبرجراك) في قصتيّ (التاريخ الفكاهي لدول وإمبراطوريات القمر)، و(التاريخ الفكاهي لدول وإمبراطوريات الشمس).

قدم عبرهما رحلات خيالية إلى بعض الدول، ثم تمرد على التقيد بحدود الكرة الأرضية، فوسع رقعة زيارته لتشمل القمر والشمس ذاتهما.

انقسمت الآراء حول هذه التجربة؛ فالبعض يراها فانتازيا محضة. بينما وصفها أحد النقاد بأنها «أول استكشاف خيالي مزود بجمع البيانات وتجريبها»، مشيرًا إلى احتوائها على بذور أفكار سابقة لزمانها حول اختراع المظلة (Parachute)، الصاروخ متعدد المراحل، انعدام الجاذبية في الفضاء،... إلخ.

فيما بعد، يبدو أن مؤلفي القرن الثامن عشر ملّوا التحليق إلى الأعلى، لذا فكروا في وجهة مختلفة.. الغوص إلى أسفل.

التقط الخيط إنجليزي يدعى (روبرت بالتوك)،

ليحيك منه شخصية (بيتر ويلكنز)، مع مغامرات مع كائنات طائرة تسكن الكهوف السفلية، ثم انتحت القصة محنى رومانسيًا تمامًا، عندما تعلق (بيتر) بإحدى إناثهم، وانتهت القصة بزواجه وإنجابه منها.

نستمر في القرن الثامن عشر، مع الغوص في باطن الأرض، بالأخص مع رواية (نيلز كلیم الذي يسافر إلى جوف الأرض). روى عبرها الكاتب النرويجي (لودفيج هولبيرج) عن معركة مع مخلوقات سفلية تجمع بين القسوة والجمال، هذا العمل حقق نجاحًا وتألقًا وقتها، ويكفي القول أنه ترجم إلى (13) لغة.

أتمس العذر لو أن أغلب الأسماء السابقة غير معروف للجميع، لذلك سأنتهز الفرصة للانتقال إلى أقلام أكثر ألفة، ما رأيكم في (إدجار آلان بو)؟

نحن نتحدث -الآن- عن أحد الآباء الشرعيين لفن
القصة القصيرة، وكذلك أدب الرعب، وأيضًا -
صدق أو لا تصدق- من رواد الخيال العلمي؛ فمن
أعماله المتميزة: [مغامرة (هانز بفال) الفريدة]، عن
رجال ينجحون في عبور الأطلسي بواسطة منطاد، قد
يبدو ذلك تراجعًا مخيبًا للآمال؛ فبعد الاعتياد على
الذهاب إلى القمر، أيصير المحيط هو منتهى الغاية
هذه المرة؟!!

نشرت القصة عام 1835م، بينما أول منطاد عبر
الأطلسي -في الحقيقة- فعلها عام 1978م، هذا
يعطيكم تصورًا حول: كم كان عملاً تقدميًا وقتها،
لدرجة أنها ألهمت الجيل الشهير اللاحق؟

فيرى البعض أن (جولي فيرن) تأثر بها -حتماً- في

روايته (خمسة أسابيع في منطاد).

يضيف متخصصون آخرون ضمن سلة إنتاج (آلان بو) في الخيال العلمي، بعض تأملاته الشعرية المدرجة ضمن كتاب (يوريكا).



إذا اطلع قارئ معاصر على الأغلبية الكاسحة من الأمثلة السابقة، قد يصنفها -لفوره- كفانتازيا طفولية، فيعجز عن إكمالها حتى، لكن.. كما قلت سابقاً، يجب تقييم العمل بمقاييس زمنه، وليس زماننا.

على أي حال، تغير الوضع بعد الثورة الصناعية، عندما اكتسب التفكير العلمي أرضية واسعة داخل العقول، فشعر الأدباء -في المقابل- بالتحدي،

وقرروا مباراته. وللحق، فقد فازوا في تلك الحقبة،
بواسطة العديد من الرواد، في مقدمتهم:

- الفرنسي (جولي فيرن).

- الإنجليزي (هربرت جورج ويلز).

عندما يقارن الأكاديميون بينهما، يحرصون سمات
الأول في: محتوى سلس، شيق، يسبقه إعداد قائم على
معلومات وحسابات استقرائية دقيقة، مع الاعتماد في
صياغة أغلب أعماله في شكل (رحلة).

في المقابل، يرجح النقاد كفة (ويلز) كأديب، باعتباره
أكثر اهتماماً بالأبعاد الاجتماعية والفلسفية في أعماله.

لكن أما وأنا هنا في فصل يتحدث عن (الذهاب
بعيداً)، فهذا يجعله ميداناً لمغامرات (فيرن) بلا منازع.

ما بين العامين 1869م و1870م، أَلَّفَ الفرنسي تحفته (عشرون ألف فرسخٍ تحت الماء). تكلم فيها عن القبطان الغامض (نيمو)، ومركبته الفائقة (نيوتيلوس). هنا نشير إلى أن ثمة خطأ شائع بأن (جولي فيرن) هو أول من وصف الغواصة.

اسمحوالي بالتصحيح: سبقه (تيوفيل جوتيه)، عبر قصته المعنونة بـ(النجمان) عام 1848م.

أما إضافة (فيرن) العبقرية، تمثلت في تجاوزه حدود العصر بكثير، من خلال وصفه لمركبة تحت-مائية ضخمة، معقدة التركيب، في وقت اقتصرت فيه الفكرة العامة عن الغواصة على أنها كرة مفرغة يتم إدلائها في الماء بحبل. على الناحية الأخرى، أنكر (ويلز) احتمالية وجود مستقبل لذلك الاختراع،

وذكر ذلك بوضوح في كتابه (التوقعات
(Anticipations).

توغل الفرنسي في دروب الخيال أكثر، ليصدم الجميع
بتفصيلته حول إمكانية وصول غواصة إلى القطب
الشمالي، وهو ما حدث بالفعل عام 1958م، عند
اختراع الغواصة النووية.

وكاعتراف بالجميل تم تسميتها بنفس الاسم..
(نيوتيلوس).

هذا ما يقودنا إلى معضلتنا الأساسية:

«إلى مدى يلهم الخيال العلم، والعكس؟»

أبدع (ويلز) عام 1901م في رائعته الكلاسيكية (أول
رجال على سطح القمر)، التي تستشرف مستقبل

ريادة الفضاء، لكن، كالعادة، تفوق (فيرن) بتقديم رؤية أكثر دقة. كي نتأكد، يمكننا عقد مقارنة بسيطة بين رواية (من الأرض إلى القمر)، وبين وصول (نيل أرمسترونج) إلى القمر عام 1969م.

مع العلم، أن (فيرن) وضع الخطوط العريضة لقصته عام 1865م، بناء على فرضية: «إمكانية السفر إلى الفضاء بواسطة طلقة مدفع ضخمة، تسع داخلها عددًا من الركاب».

في الرواية، تم اختيار ولاية (فلوريدا) كمكان لبناء المدفع الضخم، وبعد مائة عام بالتقريب، توجهت أبصار العالم إلى مركز (كيندي) للفضاء بفلوريدا أيضًا، ليتابعوا انطلاق المركبة (أبوللو 11) التي حملت ثلاثة رجال، وهو للمصادفة نفس عدد رجال الدانة

أيضًا.

في الرواية -أيضًا- سارت المركبة بسرعة (40) ألف كم/س، ووصلت للقمر بعد أربعة أيام، وعند المقارنة بما وقع في الحقيقة، بلغ معدل سرعة (أبوللو) حوالي (38) ألف كيلومتر/س، ووصلت للقمر أيضًا بعد أربعة أيام ونيف.

في الرواية، تناول أبطالها طعامًا في شكل حبوب وأقراص، أما رواد (أبوللو) فكان طعامهم عبارة عن كتل مضغوطة من اللحم والخضر.

كما تنبأ (فيرن) خلال صفحاته بانعدام الجاذبية في الفضاء، علاوةً على استخدام (ألواح شمسية) للمساعدة في الملاحة. هذا وحده كافٍ لأن نرفع له القبة.

خرق (إيزاك أسيموف) - بدوره - حجب الغد، ليتخيل وجود سيارات تحت-مائية، وهو ما تحقق في العصر الحديث، لتصدر المواقع الإخبارية أنباء تفيد أن.. «أنتجت شركة (رينسييد) السيارة المعجزة (إس كوبا) المزودة بثلاثة محركات، واحد للسير العادي، وآخرين للغوص، فيمكنها الانطلاق تحت الماء على عمق (10) أمتار كحد أقصى، وصنع هيكلها بالكامل من مواد مقاومة للماء... إلخ».

تبقى فقط أن يضاف يوماً لإمكانياتها.. الطيران، لتشبه - حينذاك - المركبة (الجو-بر-مائية) التي وصفها (جولي فيرن) في (سيد العالم) 1904م.

لحق الكاتب (فيليب ديك) بمسيرة زميله في تكنولوجيا المواصلات، فكتب قصة قصيرة تنبأ

بالسيارة ذاتية القيادة، نفس القصة تحولت لاحقاً عام 1990م إلى فيلم (استعادة كلية) لو تذكرونه، بطولة (أرنولد شوارزنجر).

تابع سير (آرثر سي. كلارك) النظر إلى الأعلى عام 1962م، وذكر إمكانية قيام رحلات سياحية إلى الفضاء في المستقبل، وهو ما حوته بالتفصيل روايته (Moondust of Fall A)، ومن ناقل القول أن عصر سياحة الفضاء تحقق بالفعل، أنسيتم أول سطور في فصلنا، المليونير (دينيس تيتو).. رحلة ذات الـ(20) مليون دولار؟

أفلام الخيال العلمي أيضاً، كان له لمساتها في الذهاب بعيداً. خذ عندك مثلاً، أضافت سلسلة (العودة إلى المستقبل) تخيلها لاختراعين مهمين جداً، لعلها أكثر

أهمية من جميع ما سبق: (الحذاء الذكي)، و(لوح التزلج الطائر).

في الختام، نقول أن عهد فيرن وويلز قد ولى، بينما بقي التباري الأزلي بين الخيال والعلم في مجال (الذهاب بعيداً).

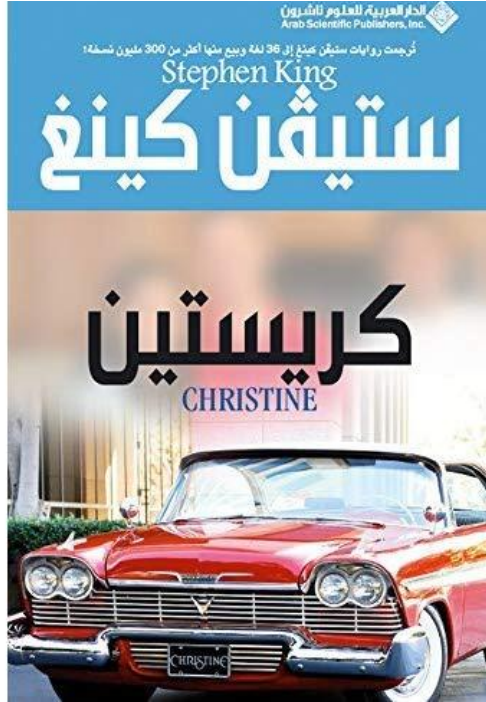


■ بؤرة الكادر ■



صورة أرشيفية لطريفة لأحمد
خالد توفيق، متقمصاً دور
(دراكيولا).

جاءنا الكتاب التالي



قرأت مقالاً للكاتب (أحمد عبد المجيد)، ذكر ضمنه أبرز مؤلفين تأثر بهما د. (أحمد خالد توفيق)، ألا وهما:

(محمد عفيفي) و(ستيفن كينج).

حسنٌ، أعرف ملامح تشابه د. (أحمد) بـ (عفيفي) من ناحية أسلوب السخرية.

لكن.. ما الذي اكتسبه كاتبنا المصري من (كينج)؟

ثم.. السؤال الأهم: ما الذي يجعل من الثاني كاتبًا عالميًا بهذه الشعبية؟

أعتبره سؤالاً مشروعاً ومنطقيًا، بحكم أنني لم أكن قد قرأت -حينها- سوى ملخصات التي قدمها د. (أحمد خالد) في أعداد سلسلة (روايات عالمية).

لن أقول أنني عجزت عن إكمالها، بالعكس.. أعجبني منها بشكل خاص (الرجل الراكض)، أما البقية مثل (الشيطانة) و(دورة المذءوب) و(شرطي المكتبة)،

فلأسف رأيت أفكارها باهتة بعض الشيء (هذا كان انطباعي السريع حينذاك، قبل أن يتطور فيما بعد، بعد المزيد من القراءات).

ثم عرفت - لاحقاً - أنها سمة عامة في أعمال (كينج).
ما المرعب في قارئة مهووسة بكاتب؟ أو مهرج سيرك؟ أو سيارة؟

أو فرضية كاريكاتورية أنك إذا تأخرت في رد كتاب استعرتة، سيطاردك ما يسمى (شرطي المكتبة)؟
ترتكز مدرسة (ستيفن) على انتزاع تفاصيل عادية من حياتنا اليومية، وجعلها مصدرًا للربح.

لا يروقني هذا الاتجاه عمومًا، فتقديم معالجة غير مألوفة لفكرة، لا تعنى بالضرورة أنها ستكون ممتعة.

فالمؤلف حينها يرقص على شعرة، قد يختل توازنه في أي لحظة، لتلوث مشاهدته بطابع كاريكاتوري.

هذا هو رأيي من حيث المبدأ.

غير أن هذه النقطة لا تنطبق على (كينج)، لأنه لا يأخذ بيد القارئ، ليدخله في مواجهات مباشرة مع موضوع الرعب، بل يجعله في الخلفية، بينما يلف ويدور بالكاميرا على مسافة الهدف.

أيهما أكثر إخافة: أن ترى شبح مباشرة أمامك؟

أم تعيش حياتك اليومية، لتلمحه بطرف عينيك بين الحين والآخر، فتستدير لتجده قد اختفى؟

الطريقة الثانية قد تكون أكثر فاعلية من الناحية النفسية.

ثمة سؤال.. أين يسلط (كينج) الضوء، أثناء الوقت

الذي تتواري فيها مصادر رعبه عن أعين القارئ؟

يأخذنا المؤلف في رحلة مسلية مع الشخصيات، التي أخذت حقها وزيادة في وصف لسماهم الشخصية، وخلفية كافية عن ماضيهم، إلخ.

(أعتقد أنها سمة عامة في الأدب الأمريكي والأوربي حالياً، وإلا من أين يأتون بهذا الزيادة السرطانية الضخمة لأحجام رواياتهم).

الأجمل.. أن كتابة (كينج) تحفل بالتفاصيل الحياتية الصغيرة، تضيف جاذبية وواقعية ملموسة على الأحداث، كما أن الشخصيات منطقيين جداً في دوافعهم وتصرفاتهم، حتى غير الأسوياء نفسياً منهم. اعتبر أن العبارة الأخيرة تحمل معها -في الوقت

نفسه - تفسيرًا لعلامة الاستفهام الأولى:

- لماذا يملك (ستيفن كينج) كل هذه الشعبية؟

في رواية (كريستين) تحديداً، نسيت -خلال نصف الرواية الأول- أنني أقرأ لمؤلف مصنف ك (كاتب رعب). إذ تتراجع إلى خلفية الأحداث، تلك التلميحات عن وجود وجه مخيف للسيارة (كريستين)، بينما يتصدر الصورة تلك التفاصيل الحية النابضة عن حياة المراهقين في الولايات المتحدة.

كما أحببت أجزاء الرواية التي صحبتنا إلى تفاصيل الحياة اليومية داخل منزلي البطلين، صحيح أن الشخصيات مغلقة بطابع الحياة الأمريكي كأزياء ومأكول ومشرب إلخ، لكن طباع أفراد العائلة وتفاعلهم مع بعضهم البعض، جاء صادقاً ومنتشبعاً

بلغة (عالمية) تعبر عن الأسر في كل زمان ومكان.
لفرط استمتاعي بهذا الجانب، تمنيت -لوهلة- لو لم
تنتهِ الصفحات أبداً.

خطف قلبي شخصية الأب الطيب المهاود (مايكل)،
لأنني أعرف أن تجنبه للصراع، لا يعني (الضعف)،
كما تعاطفت مع لحظات انكسار (ريجينا) التي
اعتادت على التصلب وإدارة الحياة.

أحببت ابتسامات (دينيس) وأبيه -رغمًا عنهم- تجاه
محاولات الأم المفاجئة لتعلم الكتابة الروائية، ومع
ذلك، يحبونها ويحترونها، مما يضطرهم إلى بذل
قصارى الجهد لكتف أي ضحكات عند فتح هذا
الموضوع.

أما المواقف بين (دينيس) بشقيقته الصغرى (إيلين)

تحديداً، فهياً لي أنها تلخص العلاقة بين أي ذكر وأخته الأنتى الأصغر سناً، في كل مكان في العالم.

هناك نقطتان تتوقع أن تقع فيهم رواية مثل (كريستين): الرواية التي تزيد عن 600 صفحة، غالباً تكون أولى صفحاتها مملة جداً، وتحتاج إلى فصلين أو ثلاثة حتى تبدأ الأمور في الاتضاح.

- كان بوسعه دس عشرات المشاهد +18، كانت هذه لتصبح عوامل جذب تجارية، خصوصاً أن موضوع الرواية يسمح بذلك، بحكم أنها تدور بين مراقبين في الثانوية العامة.

لحسن الحظ أن (كينج) تجاوز كلا الأمرين، بعيداً عن أي مشاهد حسية +18 (اكتفي بإشارات فقط، أجرؤ على الاعتراف أن وقعها كان مقبولاً على قلبي)، حاز

أسلوب السرد على عناصر جذب أخرى بعيدة عن هذه الأمور، بشكل يأخذ بتلابيبك منذ الصفحة الأولى.

أسلوب مليء بالاستدراكات والجمل الاعترافية، بالإضافة إلى السخرية المستترة الساحرة، علاوة على ذكر الكثير من أسماء ماركات وأماكن، تجعلك منغمسًا حتى أذنيك في تذوق ما تقرأه بالصوت والصورة.

على الجانب الآخر، تلخص الشائبتان الطفيفتان - من وجهة نظري - التي تخللتا الرواية، في:

1- كان عامل قوة أفكار (كينج)، مستمدًا في التلميح، وبقاء مصدر الخطر متوارياً في زاوية مجال الرؤية، أما عندما خرجت السيارة (كريسين) للنور،

لتتحرك وتقتل وتصلح ذاتها في مشاهد علنية صريحة أمام الكاميرا.

صار الموضوع كاريكاتورياً بعض الشيء، واحتجت إلى وقت، حتى أتأقلم مع هذا التغير المباغت في قواعد اللعبة، وربما نجحت غالباً، لكن بقى شيء في داخلي عاجزاً عن التأقلم مع ذلك.

2- آآه لو كانت روايات (كينج) أقل حجماً، ومع ذلك، الغريب أنك لو سألتني:

- أي جزء تظنه زائداً في (كريستين)، وتمنيت حذفه؟

سأجيب بفرع:

- لا شيء بالطبع، ربما يخبرني عقلي أن التفاصيل الاجتماعية نالت إسهاباً وكأنها موضوع الرواية

الأصلي. غير أن قلبي لا يطاوعني أن أدعي تحييد
حذف صفحة واحدة منها.

لكن.. المشكلة الحقيقة إن معظم الروايات الأمريكية
الجميلة تضعني بين خيارين أحلاهما مر: إما أن
أحظى بقراءة روايات متنوعة كثيرة في العام، إما أن
أقرأ خمسة عشر عملاً ضخماً فحسب بأقلام مثل
(كينج) خلال نفس المدة.

منذ مدة قريبة، رأيت صورة نشرها (نادر أسامة)
ابتهاجاً بانتهائه من ترجمة رواية (الشيء) لـ (كينج)،
تستعرض شكل الرواية على أرفف المكتبات، مع أنني
احتجت وقتاً حتى أميز أن هذا الكعب العريض إنما
هو لرواية، وليس قالب طوب.

مع أن طابع الحياة الأمريكية -حسبما يفترض- يتسم

بالسرعة وحب الإيجاز، فلماذا لم تمتد هذه الصفة إلى أدبهم وأفلامهم.

متوسط صفحات الروايات -حدث ولا حرج- يزيد عن 500 أو 600 صفحة، كما أن متوسط زمن الأفلام الهوليدوية التي عكفت لأيام على تحميلها ومشاهدتها.. (ساعتين)، وكأن ساعة واحدة لا تكفي، وستجعلهم يعدونه حينذاك فيلمًا قصيرًا، و.. لحظة، يبدو أن عدوى الإسهاب أصابتني، فكدت أخرج من الموضوع.

في النهاية، أقول أن ندرة من المؤلفين يقدمون أدبًا بارعًا واستثنائيًا، إلا أن بعضهم يجعل القارئ يشعر - بعد انتهاء العمل - أنه لم يكن بقلم كاتب.. بل صديق.

أعتبر ستيفن كينج أحدهم.



تنوع أو تخصص؟

■ صالون ومضات ■

- هل تفضل استمرار تخصصك في الخيال
العلمي / الفانتازيا / الرعب؟ أم تحبذ سياسة
التنوع؟



سؤال طرحناه على عدد من المؤلفين، فكانت إجاباتهم كالتالي:

أنا مؤيد للاستمرار بالتخصص، ولكن دون الانعزال عن تيار الأدب. فالخيال العلمي قطاع من الأدب، وجزء لا يتجزأ منه.

أحب أقرأ وأكتب وأشاهد عملاً يستعمل أفكار الخيال العلمي كرؤية وأسلوب في ترجمة العلاقات البشرية.. تطور المجتمعات وانهايارها.. رؤية صاحب العمل للحياة.. كل شيء، فالخيال العلمي أراه مثلاً كالواقعية السحرية في الكتابة.. وسيلة وليس غاية.

مثال لتوضيح مقصدي: أفلام مثل: Arrivals،

Snowpiercer ،Minority report ،Her

Minority Report عن قصة لفيليب ديك تحمل
نفس الاسم ،Arrival عن قصة تيد شينج .

■ أحمد محمد فريد



لو حصرت نفسك في شق واحد من أنواع الأدب
فأنت تظلمها، لأنك بيدك تقتل فرص الإبداع
والبحت في بقية المجالات.

لذا، فأنا مؤمن بعدم التصنيف وأسعى للإبداع في
كل ما يخص مصطلح (الكتابة). مثلاً، مجال
السيناريو يشمل كل أنواع الميديا، وهذه الأنواع
غير محصورة في نوع بعينه من أنواع الخيال

كالرومانسية أو الفانتازيا.

لذا، فالكاتب الحقيقي هو من يُقبل باجتهاد على كافة الأنواع تقريبًا، ولا يُبدي ضعف قدرته الإبداعية عن الخوض في أي خيال.. طالما أنه خيال..

■ عصام منصور



أحب الكتابة في الواقعية أكثر بالطبع، ولكن لأن الكتابة في الأصل خيال، وصنع الخيال له شروط كثيرة، فاتجه أحيانًا للأنواع الأخرى لأشبع رغبة الخيال التي لا أستطيع إشباعها في رواية واقعية، أو تحمل جزءًا من الواقعية، فليس هناك رواية واقعية

تمامًا.

وإلا فلندجأ لنسمعها عبر نشرات الأخبار أفضل.

■ محمد إبراهيم محروس



رحلتي مع الكتابة رحلة غريبة، تفاجئني أنا شخصيا بأمور لم أكن أتوقعها! في بداية كتاباتي كنت أميل لأدب الرعب وأظن أنني سأتخصص فيه فقط، وكنت أظن أن هناك أنواع لن أطأها أبدًا، ولكنني عندما بدأت أكتب فوجئت أن قصصي تتنوع بين الواقعي والخيال العلمي والقليل من الرعب، وعندما كتبت كتابي الأول المنشور (شقوق الزمن)، كان الخيال العلمي هو المحرك

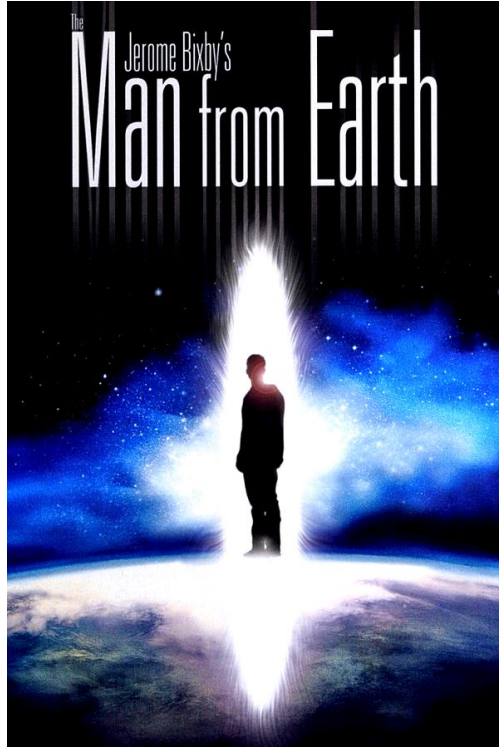
الرئيسي لي، ثم تلتها المستمعون من نوعية الخيال العلمي أيضًا.

ساعتها عرفت أن الخيال العلمي متشعب بداخلي أكثر مما توقعت، فأنا لا أختار كتابته، بل هو ينبع من داخلي، ثم تحولت رحلتي الأدبية على نحو مذهش عندما بدأت أكتب روايتي الطويلة - لم تنشر بعد - فقد فوجئت بنفسي أكتب فيها في ألوان لم أتوقع أنني قادر عليها فضلًا عن أن أريدها، ولكن يمكنني القول أن هناك خيط يجمع كل كتاباتي معا وهو التشويق والاهتمام بالإنسان. فالإنسان عندي هو أصل الحكاية، فأنا لا أسأل نفسي ماذا سيحدث لاحقًا، بل أسأل نفسي ماذا سيفعل فلان لاحقًا.

■ إبراهيم السعيد



■ أفلام غرقت



يمكن القول أنه بمثابة:

- نسخة الخيال العلمي من (12 رجلاً غاضباً).

لكنه ليس كأبي (خيال علمي)!

إذ أن لا نرى الكثير من الأفلام التي ينطبق عليها هذا التصنيف دون أن تدور أحداثها داخل سفينة الفضاء، أو مدينة مستقبلية، أو..، أو..، بل هو قائم بنسبة 100% على (حوار) بين أشخاص معاصرين، داخل (غرفة).

إذا عرفنا ماضي مؤلف الفيلم، سنجد أن مثل العمل لا يعتبر طفرة قياسًا بمتوسط مستوى بقية إنتاجه، فالقاص والسيناريست الأمريكي (جيروم بيسكبي) شارك في كتابة مسلسلات ذائعة الصيت، مثل (ستار تريك Star Trek).

كما كتب القصة التي بنى عليها -لاحقًا- العمل الذي ظهر على الشاشة باسم (منطقة الشفق Twilight

(Zone).

بدأت قصة فيلم (الرجل من الأرض) بوصول مجموعة من أساتذة الجامعة إلى منزل زميلهم المستقيل مؤخرًا (جون أولدمان). وجدوه منشغلاً في حزم أمتعته بالفعل، فلم يملكوا إلا وداعه مع التعبير عن عدم تفهمهم لأسباب الرحيل المفاجئ.

كلما طالبوه بتفسير، تجنب (جون) تقديم إجابة واضحة. قبل أن تبدأ ملاحظات أخرى في الطفو على السطح.

أولاً: انتبهت (إيديث) إلى وجود لوحة عتيقة - ضمن المنقولات- عليها توقيع (فان جوخ)، مرفقة بإهداء إلى شخص يدعى (جون). فأوضح (أولدمان) ببساطة أنها نسخة مقلدة. ثم اعتذر عن خلو البيت

من الطعام، وأنه مضطر لتقديم المتاح: منحهم
(شرباً عتيقاً للغاية).

تندر الضيوف كذلك بملحوظة تخص ملامح
زميلهم المغادر، التي لم يبدُ عليها التقدم في السن
إطلاقاً، رغم مكوثه بينهم عشرة أعوام.

قال (جون):

- أريد أن أسألكم سؤالاً سخيماً.

علّق أحدهم:

- جون، نحن معلمون، أي نجيب على أسئلة
سخيفة طوال الوقت.

- ماذا لو أن رجلاً من العصر الحجري، عاش حتى
اليوم؟

طلب منهم مناقشة الفكرة -أولاً- من منطلق أنه سيكتب عنها رواية خيال علمي، فأعجبتهم اللعبة، وبدأ كل فرد يتحدث من منظور تخصصه:

أيّد متخصص الأحياء (هاري) إمكانية الفرضية، لو حظي هذا الرجل المزعوم بنوع من (تجديد الخلايا)، كما أن أجسادنا جميعًا على أي حال- مصممة لأن تعيش 190 عامًا، لكن يقتلنا التسمم البطيء.

على الناحية الأخرى، نحن عالم الأنثروبيلوجيا (دان) أن ملامح وقامة رجل الكهف المزعوم سيشبهاننا كثيرًا. قال (أولدمان) بأنه سيجرب أمرًا لم يفعله من قبل، سيخبرهم بالسّر: «أنا رجل كهف فعلاً».

لا أعتبر الملخص السابق حرقًا للأحداث، بل ستعرفونه في أول ربع ساعة من الفيلم.

أما ما تلا ذلك، فيعد مباراة حوارية بالغة الإمتاع،
تباينت ردود أفعال زملاء (جون).

راق لي الرسم المتقن لشخصياتهم على الورق،
الذي توازى معه تجسيد مقنع من الممثلين.

يمكن القول بأن خبير الأنثروبولوجيا دان -الممثل
(توني تود)- تعامل بعقلية تحليلية جادة، منفتحة على
جميع الاحتمالات.

نفس الحال بالنسبة لأستاذ الأحياء هاري - (جون
بيلينجسلي)- إلا أن عقلانيته لم تمنع وجود لمسة
من خفة الظل + لامبالاة. بينما على العكس، أصر
متخصص الآثار آرت - (ويليام كات)- على أن
إجابات جون -على الرغم من صحتها- يمكن
الإمام بها من أي كتاب مدرسي، ثم تصاعد تحفز

(آرت) ليتحول إلى انفعال، لدرجة أنه استدعى زميلهم، الطبيب النفسي ولـ (ريتشارد ريبيل)- كي يقيم سلامة ذهن (جون)، مما أضاف بعدًا جديدًا للنقاش.

أستاذة تاريخ الفن إديث - (إلين كراوفورد)- تعاملت مع الموضوع بما هو أشبه بطريقة (أمهات الطبقة المتوسطة المحافظة)، حيث تكن ودًا كبيرًا تجاه (جون)، انعكس في صورة عصبية شديدة تجاه ما تسمعه، من منطلق (طالما نحبه، يجب ألا نجاريه).

أما (ليندا) - طالبة (آرت) التي جاءت بصحبته- كانت أكثر لطفًا، لم تبدِ استنكارًا يذكر.

شاركتها انطباعها المؤرخة ساندي - (أنیکا بيترسون)- التي كانت أكثر من مال إلى تصديق زميلها المستقيل،

لأنها.. تحبه.

صارحته بذلك عندما انتحيا جانبًا، فأجاب بأنه يعرف. لكن ما الفائدة إذا كان يعرف أنها ستموت قبله بكثير؟! مما يعني عذابًا أكثر!

أجابت (ساندي) حينذاك بمنطق أعجبني جدًا.

نعود إلى الحيات الذي تمتع به (دان)، وجعله يوجز كل شيء بجملته:

- ليست هناك أي طريقة في العالم كله ليثبت (جون) قصته. مثلها لا توجد طريقة لنفيها.

هذه العقلية المفتحة جعلت (دان) يصل إلى تفسيرات مبتكرة لحالة (جون) من الحين والآخر. مثل:

- الزمن؛ لا يمكنك رؤيته، ساعه، قياسه وتقدير وزنه في معمل، هو حالة، نوعاً من الإدراك الحسي بأننا أصبحنا ما نحن عليه الآن بدلاً مما كنا عليه قبل نانوثانية مضت، بأننا سنكون (نحن) آخرين بعد نانوثانية قادمة. الزمن كاملاً منبسط، كشرائح متتالية لصورة منظر طبيعي. ونحن نتحرك، من شريحة إلى أخرى.

اعترضت ليندا:

- لكن الساعات بوسعها قياس الزمن!

- لا، الساعات تقيس الوقت، والوقت مجرد شكل مادي وضعناه نحن للزمن مستخدمين ساعات أخرى، الساعات تقيس بعضها البعض لا المفهوم الحقيقي للزمن.

- نظرية مثيرة للاهتمام! لكن ما علاقة هذا كله
بجون؟!

- جون - على الأرجح - رجل يجيا خارج الزمن الذي
نعرفه.

قدّم الممثل (ديفيد لي سميث) أداءً هادئًا، يناسب
الدور الذي يؤديه، دور رجل عاش لـ 140 ألف
عام، أي رأى كل ما يمكن رؤيته.

لذلك، لم يهلع أو يفقد أعصابه عندما صوب أحد
الرفاق مسدسًا نحوه، أو عندما حاول (هاري)
مفاجئته بانقضاضة مازحة من الخلف، فما كان من
(جون) إلا أن صدّها ببساطة وأسقطه أرضًا.
سأله:

- لماذا فعلت ذلك؟

- أردت اختبار سرعتك وردة فعلك.

- ليس لدي عيون في مؤخرة رأسي، ولا أستطيع سماع الحشرات تمشي، أنا لست رجلاً خارقاً.

لم تشغل (هاري) هذه النقطة، بقدره حيرته تجاه كيفية تغلب (جون) عليه:

- معي حزام أسود من الدرجة الثانية.

جاء تفسير (جون) بسيطاً:

- تدرب لألف عام أخرى.

روى بعدها أنه انتقل إلى الشرق عقب العصر الجليدي، ليعيش كسومري لمدة 2000 سنة، ثم عاصر حاكماً بابلياً وصفه بأنه عظيم.. يقصد (حمورابي).

صار (جون) بعدها تلميذًا لـ (بوذا)، فصديقًا لـ (فان جوخ). ثم أبحر ضمن أسطول كريستوفر كولومبوس، معترفًا بأنه كان يعتقد -في ذلك الوقت- أن الأرض مسطحة.

أعجبني واقعية التفصيـلة الأخيرة!

تضاعف إعجابي عندما سؤل البطل عن ذكرياته مع العصر الجليدي وتغيراتها الجغرافية والمناخية، فلفت نظرهم أنه -بالبدئية- لا يحيط علمًا بالصورة كاملة؛ فهو -أولًا وأخيرًا- يخبرهم بوجه نظر رجل واحد عاش في مكان واحد، اكتسب أغلب معلوماته فيها بعد بواسطة القراءة.

حتى لفظة (رجل الكهف)، لم يعرفها إلا عندما ظهرت في المراجع لاحقًا. أضاف (جون) أنه -خلال

عمره الطويل - حصل على شهادات في تخصصاتهم
جميعاً.

- ما عدا أنت يا (ويل).

...-

- كلكم يستطيع فعل ذلك، العيش لمدة 140 ألف
سنة لم يجعلني عبقرياً، وإنما كان لدي الوقت
للتعلم.

سأل الجالسون (جون) إذا ما قد عاصر التاريخ
الديني، هل كان -مثلاً- أحد الشخصيات التي
ذكرت في الإنجيل؟

تهرب رجل الكهف -في البداية- من الرد، لكن
استجاب بعد إلحاحهم.

في الواقع، كان هذا قرارًا حساسًا من السيناريست. طبيعتي المتحفظة -كمشاهد شرقي- لم تبتلعه، خصوصًا أنها تفترض ضمنيًا بأن جميع الأديان ما هي إلا أساطير. بينما الجانب المتجرد من عقلي عجز عن إنكار مدى ذكاء هذه الإضافة؛ حيث دفعت الحبكة إلى أبعاد جديدة. صحيح أن معظم الحاضرين علمانيين -مثل (دان) و(هاري) و(ويل)- فلم يتأثروا كثيرًا بالنقلة الأخيرة، إلا أنها تسببت في زلزال بالنسبة لمسيحية متدينة مثل (إديث).

بشكل عام، كان أداءها التمثيلي مقبولًا منذ بداية الفيلم، إلا أن المرأة -منذ تداخل السيناريو مع خط التاريخ الديني- أظهرت ما يشبه صدمة «طفلة أخبروها بأن (سانتا كلوز) ليس حقيقيًا».

ظللت تكرر جملة واحدة:

- أنت لست (..)، أنت لست (..)!

تعبيراتها وأدائها أثناء ترديد نفس التعليق المذهول، كانت أكثر إقناعاً من كل الحوار الذي قالته منذ بداية الفيلم، ثم استحال كل هذه المشاعر المصدومة إلى سعادة وارتياح، عندما تراجع (جون)، وأخبرها بما تريد سماعه.

من ناحيتي، ظننت أن سيناريو (الرجل من الأرض) سيعتمد -فحسب- على لعبة (المنطق والمنطق المضاد)، فلن يحتوى على المزيد من التحولات العاطفية، غير أن نهاية أحداثه فاجأتني بالعكس، حيث احتوت وحدها على (تهديد بالقتل، موت، بدء حياة جديدة).

جميع ما سبق، جعلي ذهني ينشغل بسؤال:

- كيف لم أره أو أسمع عن العمل طوال هذه السنوات؟ مع أنه -حسبها قرأت لاحقًا- إنتاج عام 2007م!

خرجت من الفيلم بامتنان عميق تجاه كل شيء: تجاه الفكرة المبتكرة للمؤلف (جيروم بيسكبي)، التنفيذ الاحترافي للمخرج (ريتشارد شينكمان)، الروح الرياضية للمنتج (إيريك د. ويلكينسون). حيث شكر الأخير كل من تداولوا النسخة المقرصنة من الفيلم، قائلاً أنهم رفعوا شعبية العمل، مما شجع فئات أخرى على شراء النسخة المدفوعة.

